أحلام لها تاريخ

(٣)

أحلام أبى الأنبياء
إبراهيم عليه السلام

بقلم :
أ. د. محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر الشريف

دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

المسير ، محمد سيد أحمد .
أحلام أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام .
بقلم : محمد سيد أحمد المسير .
- القاهرة : دار المعارف ، (٢٠٠٩) .
٣٢ ص ؛ ٢٠ سم (أحلام لها تاريخ ؛ ٣) .
تدمك : ٥ - ٧٢٩٥ - ٠٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨ .
١- قصص الأطفال . ٢- القصص العربية . ٣- قصص الأنبياء .
أ) العنوان .

ديوى ٨١٣,٠٢

رقم الإيداع ٤١٤٩ / ٢٠٠٩ ٧/ ٢٠٠٨ /٦٢

تصميم الغلاف
أحمد عبد النعيم

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧- فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى..

أما بعد..

فهـذا هو الجـزء الثالث من سلسـلة «أحلام لهـا تاريخ»، وهو يتضمن رؤيا أبى الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام..

وقد بدأ بفكرة مختصرة عن نبوة إبراهيم وهجراته إلى فلسطين ومصر من أرض مولده فى بابل بالعراق..

ثـم جاء مولد إسـماعيل عليه السلام الابن البكـر لإبراهيم من هاجر المصرية..

وشـرحنا رؤيا إبراهيم عليه السلام أن يذبح هذا الغلام الحليم إلى أن فداه الله بكبش عظيم بعد أن أسـلم الوالد ولده لله وأسـلم الولد نفسه لأبيه طاعة لله..

ثم جاء البيان والتعليق على محاور هى:

١- قضية الابتلاء وموقف الإنسان أمام حكمة الله تعالى فى السراء والضراء.

٢- طاعة الوالدين واجبة فى غير معصية الله تعالى.

٣- فداء الله تعالى لإسماعيل بكبش صار سُنَّة شرعية فى الأضاحى والهدْى.

٤- الشيطان عدوٌّ للإنسان وقد حاول صرف إبراهيم عن تنفيذ رؤياه، لكن الأنبياء والصالحين لا سلطان للشيطان عليهم.

٥- كان رسول الله ﷺ يعرف بأنه ابن الذبيحيْنِ ويراد بهما إسماعيل ابن إبراهيم، وعبدالله بن عبد المطلب ولكل منهما قصة.

فهيَّا بنا نقرأ هذا الجزء لنتعرف على التفاصيل..

والله ولى التوفيق

أ. د. محمد سيد أحمد المسير

إبراهيم عليه السلام

تمثـلُ بعثةُ إبراهيم عليه السلام مرحلةً جديـدةً منَ النبوّةَ، فهوَ الجدُّ الأعلىَ للعربِ واليهودِ بنسبِ ولديْهِ إسماعيل وإسحق.

وكانَ إبراهيمُ بعدَ نُوح، ومنْ نسلهِ، وعَلى ملتهِ، قالَ الله تعالىَ: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1]، أَىْ منْ شيعةِ نُوح عليه السلام، وشيعَةُ الرجُل أهلهُ وأنصَارهُ..

وقـدْ وُلد إبراهيمُ فِى أرضِ بَابل بالعـرَاق، أرضُ الكلدَانيينَ، فِى بيئَةٍ وثنيَّةٍ تَصنعُ الأصنامَ لتعبدهَا، وتُقيم الأوثَان لتؤَلهها.

وجاهـدَ إبراهيمُ هـؤلَاء الوثنيينَ جهادًا كبيـرًا، ووقفَ موَاقف حَاسمَة معَ أبيهِ وقومه.. قالَ تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) الصافات – الآية ٨٣.

وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

وأعلنَ أبوهُ الحربَ عليه، وقدمهُ قومُهُ للمحاكمة، وأصدروا حكمًا بإعدامه حَرْقًا، وأنقذهُ اللهُ برحمته، قالَ تعالىٰ: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[2].

خرجَ إبراهيمُ بعدَ هذه المعْجزة القاهرة مهاجرًا إلىٰ فلسطينَ أرْضَ الكنعانيينَ، وكانُوا صابئة، يعبدونَ الكواكبَ والنجومَ، فدعاهم إلىٰ الله، ونهاهُم عنِ الشركِ وشرحَ لهُم دَلائلَ التوحيدِ الخالصِ.

وساقَ القرآنُ المجيدُ أسلوبَ إبراهيمَ فِى مُجادلةِ هؤلاء حينَ قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ

(١) الأنبياء – الآيات من ٥١– ٥٨.

(٢) الأنبياء – الآيات من ٦٨– ٧١.

مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

وظلَّ إبراهيمُ فى هذه الأرض المقدسَة إلى أنْ جدَّت أسبابٌ دفعتْ به إلىَ الهجْرة، فقدْ حدثَ جدْب وقحْط أهلكَ الحرثَ والنسلَ، فانتقلَ إلى مصْرَ، وأقامَ بهَا فترةً زمنيةً فِى عصْر الهكْسُوس..

وتعدُّ هذه الفترةُ ذاتُ أثرٍ عميقٍ فِى تاريخ الرسَالات الإلهيَّة، فقدْ خرجَ إبراهيمُ مِنْ مصرَ ومعهُ هَاجر القبْطية التى وَلدت لهُ إسمَاعيل، ذلكَ الغلَام الحلِيم الذِى تناسَل منهُ العربُ المستعْربَة، ثُمَّ بشرهُ الله بإسحاق منْ زوجهِ سارة، ذلكَ الغلامُ العليمُ الذِى تناسلَ منهُ بنُو إسرَائيلَ..

وعادَ إبراهيمُ عليه السلام إلىَ فلسْطين، وكانتْ لهُ رحلةٌ بعدَ ذلكَ أَوْ رحلَات إلىَ موضعِ مكَّة المكرمةَ حيثُ ترك إسمَاعيل وَأمَّهُ هَاجر فِى وَادٍ غيرِ ذِى زرْع لحكمةٍ إلهيَّةٍ بالغَة تمثَّلت فِى رفْع قواعِد البيتِ الحرَام وَالتمْهيد لبعثةِ النبىِّ الخَاتم سيدنا محمد ﷺ..

---

(١) الأنعام – الآيات من ٧٥– ٧٩.

وفى صَحيح الحديثِ عن أبى هُريرة قالَ: قال رسول الله ﷺ: «لمْ يكـذبْ إبراهيمُ إلَّا ثلَاث كَذَبَات، اثنتيْـن منهُن فى ذَات الله، قولهُ: «إنِّى سَـقيم»، وقولُهُ: «قال بل فعلهُ كبيرهُـم هذَا» وقال: «بينَا هوَ ذَات يوم وسَـارة، إذْ أتىَ عَلى جبَّارٍ مـنَ الجبابرَة، فقيلَ لهُ: إنَّ ههنَا رجلًا معهُ امرأة منْ أحسنِ الناسِ، فأتَى سَارة فقالَ لهَا: إنَّ هذَا الجبَّار إنْ يعْلـم أنكِ امرأتى يَغْلبنى عليكِ، فإنْ سـألكِ فَأخبريه أنكِ أُختى، فإنكِ أُختى فِى الإسْلَام، ليسَ عَلى وجْه الأرضِ مؤْمن غيرِى وَغيرُكِ..

فَأرسـلَ إليها فَأُتى بهَا، وقامَ إبراهيمُ يُصَلـى، فلمَّا دخَلت عليه ذهـبَ يتناولهَـا بيَدِه، فأُخذَ حتَّـى ركضَ برجْله، فقـالَ: ادعِى 'للهَ ولَا أضُـرُّك، فدعتِ اللـه فأطْلق، ثُم تناولهَا الثَّانيـة، فأخذَ مثلهَا أَوْ أَشَد، فقالَ: ادْعِى اللهَ لِى ولَا أضرُّك، فدعتِ الله فأَطْلق، فدعَا بعضَ حَجَبته، فقالَ: إنكَ لمْ تأتنى بإنسانٍ، إنَما أَتيتنى بشيْطَان، فأخدمهَا هَاجر، فأتتهُ وهوَ قائمٌ يُصَلى، فأومَأَ بيده: مَهْيَم، قالتْ: ردَّ الله كيدَ الكافرِ فِى نحرِه، وَأخدمَ هَاجَر».

قالَ أَبُو هُريرة: تلكَ أُمكم يَا بنى مَاء السَّمَاء.

ولنا تعليقات على هذا الحديث:

١- الكـذبُ الذى وُصِـفَ بِه إبراهيمُ عليه السَّـلام هوَ منْ بابِ المعَارِيـض، وهىَ أَنْ يقصدَ المتكلمُ معْنـى وَيَفْهم منهُ المخَاطبُ

معنًى آخرَ، وهىَ منَ المباحِ شرعًا عندَ الضَّرورةِ، ولوْ كانَ كذبًا محْضًا فهوَ جَائز أيضًا لدفْع الظَّالمينَ.

٢- وقولُ إبراهيمَ «إنىِّ سَقيم» عندمَا دعاهُ قومهُ للخُروجِ يومَ عيدِهم، لمْ يقصدْ بهِ المرضَ البدَنى والعُضْوى، وإنمَا قصُد بهِ الهمُّ النَّفْسى وَالحزْن الشَّديدِ عَلى ما هُم عليهِ منْ ضَلَالة.

٣- وقولُ إبراهيمَ «هذَا رَبِّى» للكوكبِ وَالقمرِ والشمسِ كانَ عَلى طريقِ الاحتجَاج عَلى قومهِ تنبيهًا عَلى طُرُق الاستِدْلَال، فإنَّ الذى يتغيرُ لَا يصْلحُ للربُوبيَّة.

٤- وقولُ إبراهيمَ «بلْ فعلهُ كبيرُهم هذَا» منْ بابِ التهكُّم بعبدَة الأصنَام الذينَ يعبدونَ أصنامًا لا تسمعُ ولا تبصرُ ولا تتكلَّم.

٥- لم يُفرط إبراهيمُ فى زوجهِ سَارة، وإنمَا حُسْن ظنهِ باللهِ وَصِدْقُ توكُّلهِ عليهِ ويقينُهُ بحفْظ اللهِ دَفَعه إلى أنْ يقومَ للصلاة ويدعَ زوجَه لأمْرِ اللهِ.. وقدْ صَدَق اللهُ وعْده فَشُلَّت يدُ الجبَّار ولمْ يَستطعْ أنَ ينالَ سَارة بسوءٍ وتوسَّلَ إليهَا أَنْ تَدْعُو اللهَ لهُ.

٦- قولُ أبى هُريرة «تلكَ أمكُم يا بنى مَاء السمَاء» خطابٌ للعربِ لأنهُم أصحَاب رَعْى، يتعقبونَ مَا ينبتُ بمَاء المطرِ، أوْ لأَنَّ ماءَ زمزمَ هِىَ التى جمعَت الناسَ فِى هذَا المكانِ بعدمَا تفجَّرت عَلى يدِ إسمَاعيل وأمه هَاجَر..

٧- ذكـرَ الإمامُ ابنُ حجر مَجْمُوعةَ فوائدٍ تُؤخذُ منْ هذَا الحديثِ هيَ:

- مشروعيَّة أُخوة الإسلَام «أى أن الإسلام يجعل أتباعه إخوة كإخوَة النسب».
- وإباحَة المعَاريض.
- والرخصَـة فِـى الانقيادِ للظَّالـم وَالغَاصب «أى عـدم مُقَاومتهِ اعتقَادًا بأنَّ الله سَيُنْقذه».
- وقبولُ صلةِ الملكِ الظَّالم «أى عطيته»، وقبولُ هديَّة المشْرِكِ.
- وإجابةُ الدعَاء بإخْلاَصِ النيَّة.
- وكفايةُ الربِّ[1] لمنْ أخلصَ فِى الدعَاء بعمَله الصَّالح.
- وفيهِ ابتلاءُ الصالحينَ لرفْع دَرجَاتهم.
- وفيـهِ أنَّ منْ نابهُ[2] أمرٌ مُهِمٌّ منَ الكربِ ينبغِي لهُ أَنْ يفزعَ إلى الصَّلَاة..»[3].

* * *

(١) أى استجابة.الدعاء للمخلصين الصالحين.

(٢) أى أصابه.

(٣) فتح البارى (ج٦ ص٣٩٤).

مولد إسماعيل

وُلد إسماعيلُ عليه السلام فِى الأرضِ المباركةِ منْ فلسطينَ، وأثناءَ فترةِ الرضاعَـة حملهُ أبوهُ إبراهيمُ عليه السلام بأمرِ الله، ولغيرةِ سَـارَة منْ أُمهِ هَاجر إلىَ وَادٍ غيرِ ذِى زرْع فِى مَوْضع مكَّةَ المشرَّفَة.

وتكفَّـل الله تعالىَ بالرضيـعِ وَأمهِ وفجَّر لهمَا بئـرَ زمْزَمَ وَجَمَعَ الناسَ حَوْلهم وَقدْ سـاقَ الإمامُ البخـارِى فِى صحيحهِ حديثًا مُطوَّلًا وحديثًـا مُختصـرًا، كلاهُمَا عنِ ابـنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قـالَ- كما هوَ فِى الحديثِ المختَصر:

لمَّا كانَ بينَ إبراهيمَ وبينَ أهلهِ ما كانَ، خرجَ بإسماعيلَ، وَمَعَهم شَنَّة فيهَا مَاء، فجعَلتْ أُمُّ إسمَاعيل تشربُ منَ الشنَّةِ[1] فَيدر لبنهَا عَلى صَبيِّهَا، حَتـى قدمَ مكةَ فوضعهَا تحتَ دوْحة[2] ثمَّ رجعَ إبراهيمُ إلى أهلهِ[3]، فاتبعتهُ أمُّ إسـماعيلَ حتَّى لَمَّا بلغُوا كَداء[4] نادتهُ منْ ورائهِ: يَا إبراهيمُ إلَى منْ تتركنَا؟ قالَ: إلىَ الله، قالتْ: رضيتُ بالله..

---

(١) الشنة: القربة القديمة.

(٢) الدوحة: الشجرة الكبيرة.

(٣) المراد زوجه سارة.

(٤) كداء- بفتح الكاف وضمها- موضع خارج مكة.

فرجعتْ فجعلَت تشـربُ منَ الشنَّة ويَدر لبنهَا عَلى صَبيهَا حتَّى لمَّـا فَنِىَ الماءُ قالتْ: لَوْ ذهبتُ فنظرْتُ لعَلىِّ أُحسُّ أحدًا، فذهبَتْ فصعـدَت الصَّفَا فنظَـرت هلْ تحسُّ أحدًا؟، فلمْ تحـسَّ أحدًا، فلمَّا بلغتِ الوَادى سـعتْ وَأتت المروةَ، ففعلتْ ذَلكَ أَشْواطًا ثمَّ قالتْ: لـوْ ذهبتُ فنظرتُ مَا فَعَلَ- تعْنِي الصَّبىَّ- فذهبتْ فنظرَتْ فإذَا هُوَ عَلى حَاله كأنهُ يَنْشَغُ[1] للموْتِ، فلم تُقِرَّهَا نفسُهَا فقالتْ: لوْ ذهبتُ فنظرتُ لعلىِّ أُحسُّ أحدًا..

فَذَهبت فصعَدتِ الصَّفَا فنظَرت فلمْ تُحسُّ أحدًا حتَّى أتمتْ سبعًا ثُـمَّ قالتْ: لوْ ذهبتُ فنظرتُ مَا فَعَلَ- أَي الصبى-، فإذَا هِىَ بصوتٍ فقالـتْ: أَغثْ إنْ كانَ عنـدكَ خَيْرٌ فإذَا جبريلُ، قـالَ: فقالَ بعقبهِ هكذَا وَغمزَ عَقِبَهُ عَلى الأَرْض فانبثقَ الماءُ فدَهِشَت[2] أُمُّ إسماعيلَ فجعلتْ تخْفُر[3]..

قال أبو القاسـم ﷺ: لو تركتهُ كانَ الماءُ ظاهرًا، فجعَلت تشـربُ مـنَ المـاءِ ويَدرُّ لبنهَا عَلى صبيهَـا، فمرَّ ناسٌ مـنْ جُرْهُم[4] ببطْن

---

(١) ينشغ: يشهق ويعلو صوته وينخفض.

(٢) دهشت بفتح الدال أو ضمها تحيرت وتعجبت.

(٣) تخفر أى تحبس الماء وتجعل له حوضا خشية تسربه.

(٤) جُرْهُم: قبيلة عربية كانت بواد قريب من مكة المشرفة.

الــوادِى فإذَا هُم بطَيْــرٍ، كأنهُم أنكَرُوا ذَاكَ وقالُــوا: مَا يكونُ الطيرُ إلَّا عَلى مَاءٍ فبعثُوا رســولَهُم فنظرَ فإذَا هُم بِالماءِ فأتاهُم فأخبرهُم فَأَتــوا إليهَــا فقالُوا: يَا أمَّ إســماعيلَ أَتَأْذَنينَ لنَا أنْ نكــونَ معَكِ أَو نسْكنَ معَكِ؟...

رؤيا إبراهيم

رؤيَا الأنبيَاء وحْـى وَحَقٌّ، وقد ابتلىَ الله تعَالى إبراهيمَ الخليلَ ابتـلاءً كبيرًا فامتحنهُ فِى أعـزِّ ولدهِ الذِى رزقهُ اللَّهُ بِهِ عَلى كبرٍ منْ سِنِّهِ التِى جاوزَتِ الثمانينَ عامًا.

فلمَّا بلغَ هذَا الغلامُ السَّـعْىَ، أىْ ترعرعَ وصارَ يمْشِـى معَ أبيهِ ويدركُ مداركَ الحياةِ الأُولى التِى تصاحبُ الأَطفال قبلَ البلوُغ..

حِينئـذٍ رأَى إبراهيمُ عليه السلام رؤيَا عَجِيبـة أَرَّقتهُ بعضَ الوقتِ،لقدْ رَأَى أنـهُ يذبحُ ولدَهُ إسـمَاعيل، فصارَ مُترددًا هـلْ يقدمُ عَلى فعْلِ مَا رأَى أَوْ أَنَّ الأمرَ مُجرد هَاجسٍ مرَّ بخَاطره؟!

فلمَّـا تيقَّنَ صدْق الرؤيَـا وتأَكَّد أنهَا منَ الله تعالـىَ، وَتمثلُ أمرًا إلهيًّا، لمْ يتلكَّأْ فِى تنْفيذ رؤياهُ وَبَادرَ بأَخْذ أَسْبابهَا فنادَى ولدَهُ وَقصَّ عليه رؤيَاه، فمَا كانَ منَ الغلام الحليم إلَّا أنِ اسْتجابَ اسْتجابَةً فوريَّة، وسَاعد أباهُ عَلى قبُولِ هذَا الابْتلاء، وقالَ له بلسانِ الواثقِ منْ ربه:

﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾[1].

(١) الصافات – الآية ١٠٢.

ولـمْ يكنْ عـرْض إبراهيمَ الأمر عَلـى ولده اسْتشـارةً أَوْ محلًّا للتفـاوُض، وَإنمَا كانَ تثبيتًا للإيمَان، وَاطمئنانًـا لحكْمة الله، وَرِضًا بقضَاء اللَّه حَتَّى يحصلَ للوالد وَالولَد جزيلَ الثَّواب.

وبـدأَ إبراهيمُ الخليلُ فِى تنفيذ رُؤياه، وَأسْـلَم الوَالدُ ولدَهُ لله وأسلَم الولدُ نفسَهُ لأبيه طاعةً لله..

وَمَا كانَ منَ الوَالد إلَّا أنْ تَلَّ ولدَهُ للجبينِ: أىْ صرعَهُ عَلى شِقِّـه فوقعَ عَلى أحَد جَنبيه..

وللوجْه جبينَان بينهمَا الجبْهَة، وَقيلَ الجبينِ هوَ الجبْهَة أَىْ أكَبَّهُ عَلى وجْهه..

وأخذَ إبراهيمُ عليه السلام السـكِّينَ ليذبحَ ولدَهُ، وهنَا تدخَّلَتِ الإرادَةُ الإلهيَّة وَنُودِى مِنْ قبلِ ربِّ العَالمينَ:

﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾[1].

لقـدْ خفَّـفَ الله عـنْ إبراهيمَ عليه السلام وقْـعَ الابتـلاَء فَرَضى منهُ بمقدِّمَـات الذَّبْح وَأعفاهُ منْ نَتائجـه؛ لأنَّ إبراهيمَ صحَّ منهُ العزمُ وشرعَ فِى التنفيذ..

وَأبدلهُ الله جَبْرًا عنهُ كبشًـا ذَبحهُ إبراهيـمُ، وصارَ ذبْح الكِبَاشِ سُنَّةً تشريعيَّةً إلى يومِ القيامَة فِى مَناسك الحجِّ والأضاحِى..

---

(١) الصافات – الآيات ١٠٤، ١٠٥.

وَتلكَ هى عَاقبةُ المحسـنينَ الذيـنَ يحققونَ الإيمانَ ويعبدونَ الله حقَّ عبَادته ويخشـونهُ حَقَّ خشـيته وَيستجيبُونَ لأمر الله حبًّا لله ورضًا بِمَا قسَم وطمعًا فِى رحمتهِ وَإجلَالاً لحكمهِ..

وهيَّا بنَا نقرأُ هذِه الآيَات الكريمَات:

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1].

(١) الصافات – الآيات من ١٠١– ١٠٧.

بيان وتعليق

١ـ قضية الابتلاء

قالَ اللَّهُ تعالـى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[1].

لقـدْ كلَّف الله تعالى إبراهيمَ عليه السلام بتكليفاتٍ شـتَّى وبلغَ فيها قمَّةَ النجاحِ وكافأهُ ربـهُ بأنْ جعلهُ إمامَ النَّاسِ، وَأمةً وحدَهُ، وأعْلى ذكرهُ فِى الآخرينَ، وأمرَ أتباعَ محمدٍ ﷺ أَنْ يُصلُّوا عليهِ صلاةً مَقْرُونَةً بالصَّلاةِ عَلى النبىِّ الخاتمِ سَيدنا محمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[2].

---

(١) البقرة – الآية ١٢٤.

(٢) النحل – الآيات من ١٢٠– ١٢٣.

وأرادَ إبراهيمُ عليه السلام منْ بابِ شَفقةِ الآبَاء وحُنوهم عَلى أبنَائِهم أنْ تستمرَّ تلكَ الإمَامةُ فِى ذُريتهِ أجمعينَ، فنبههُ الله تعالى إلَى أنَّ ذُريتهُ منْهُم المحسنَ وَالظالمَ لنفسِه، وأنَّ إمَامةَ الدين لا تكونُ إلَّا للمحسنينَ.

وفهمَ إبراهيمُ الدرسَ وكلّفهُ الله تعالى ببنَاءِ الكعْبَة المشَرَّفة معَ ولدِه إسْمَاعيل الذى أنقذهُ الله منَ الذبحِ، وَلمَّا تمَّ البنَاء توجَّهَ إبراهيمُ عليه السلام بالدعَاء الضَّارِع إلىَ ربهِ أنْ يجعلَ هذِه البقعَة المباركةَ بلدًا آمنًا وأنْ يرزقَ أهلهُ المؤمنينَ- فقطْ- دونَ الكافرينَ فقالَ:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾[1].

فكانَ الردُّ الإلهى الحَاسم بأنَّ عطاءَ الدنيَا ممْدُود للناسِ كلِّهم مُؤْمنهم وكَافرهم لكنَّ عطاءَ الآخرةِ موقُوف عَلى المؤمنينَ ليسَ للكافرينَ منهُ نصيبٌ.. قالَ تعالىَ: ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾[2].

---

(١) البقرة – الآية ١٢٦.

(٢) البقرة – الآية ١٢٦.

وَلْنعلـم أنَّ الحياةَ كُلَّهَا قَائمة عَلى متقابلَات منْ صحةٍ أَوْ مرَض، ومنْ غنًى أوْ فقر، ومنْ عزٍّ أَوْ ذُلٍّ، ومنْ قُوةٍ أَوْ ضعْفٍ.. قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

وَلكى يَسْـتريحَ الإنسـانُ، وَيتحققَ لهُ عُمق الإيمانِ، وينشـرحَ صدرُهُ، لابدَّ منَ الشـكرِ عندَ النعماءِ والصَّبْر عنْد البْلوَاء، ولهذَا قال رسولُ الله ﷺ «عجبًا لأمْرِ المؤمنِ إنَّ أمرَهُ كلَّهُ خيْر وليسَ ذلكَ لأحدٍ إلَّا للمؤمنِ إنْ اَصَابتْهُ سَـرَّاء شَـكَر فكانَ خيرًا لهُ، وإنْ اَصَابته ضَرَّاءَ صَبَر فكانَ خيرًا لهُ» رواه مسلم.

٢ـ طاعة الوالدين

عندما عَرَضَ إبراهيمُ رؤياهُ عَلى ولدهِ إسـماعيل لمْ يتردَّد الولدُ فِى الاسْـتجابةِ والتضحيَةِ بحياته، طاعةً لله وَاسْـتجابةً لرؤيَا أَبيه.. وإنَّ أسْـمَى العلَاقـات الاجتماعيَّة هىَ عَلاقةُ الأبنـاء بآبَائهم، فهىَ تقومُ عَلى الإحسَـان، قالَ اللـه تعالىَ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[2].

---

(١) الأنبياء – الآية ٣٥.

(٢) الإسراء – الآية ٢٣.

وقال جل شأنه: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[1].

فهى عَلاقةٌ مُقترنةٌ بعبَادة الله، وهىَ عَلاقة فيهَا معْنى الحسْن وَالجمَال، وهىَ عَلاقةٌ ليسَ فيهَا مكافَأة أو جَزَاء فهِىَ إحسَان مُجرد لأنَّ الوفاءَ للوَالديْنِ غير مُسْتطاعٍ..

ولهذَا كانَ النهىُ عنِ التأفُّفِ أقصىَ مَا يُعبر عنْ هذَا الإحسَان فقَال جلَّ شأنُهُ..

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

وَترتَّبَ عَلى ذلكَ أَنَّ طاعتهمَا وَاجبَة فِى غيرِ معْصيَة، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[3].

---

(١) النساء – الآية ٣٦.

(٢) الإسراء – الآية ٢٣.

(٣) العنكبوت – الآية ٨.

قيلَ نزلتْ فِى سـعْد بن أَبى وَقّاص ﷺ، قالتْ لهُ أمهُ: أليسَ قدْ أمرَ الله بالبرِّ؟! وَالله لَا أُطعم طعامًا ولَا أشربُ شرابًا حتَّى أموتَ أو تكْفر، فكانُوا إذَا أرادُوا أنْ يطعموهَا شجرُوا فاهَا[1].

وكان سـعدُ أبرَّ الناسِ بأمه فلمَّا أسلمَ قالتْ لهُ: لتدعنَّ دينكَ أوْ لَا آكلُ وَلَا أشربُ حتَّى أموتَ فتعيَّرُ بى وَيُقال: يَا قَاتل أمه..!!

فقالَ لهَا سَـعْد: يا أمَّاه لوْ كانت لكَ مَائة نفْس فخرجَتْ نفسًـا نفسًا مَا تركتُ دِينى هذَا فإنْ شئتِ فكلى وَإنْ شِئتِ فلَا تأكُلى، فلمَّا رأتْ ذلكَ منهُ أكلتْ ونزلتْ هذِه الآية الكريمة.

ومـنْ هذَا المنطلَـق أيضًا وهوَ طاعةُ الوالديْـن فإنَّ الله تعالى قدْ جعلَ وليًّا للمرأةِ عندَ زواجهَا تَسْتشـيرهُ وتأخذُ برأْيه مَا دامَ فيهِ الخيرُ قالَ رسولُ الله ﷺ «أيمَا امرَأةٍ نَكحَت بغيرِ إذْن وَليهَا فنكاحهَا بَاطِل، فنكاحهَا بَاطِلٌ فنكاحهَا بَاطِل».

وليـسَ فِـى رضَا الولىِّ اسْـتكراهٌ للمرأةِ ولَا جَبْـر لهَا عَلى رجُل لَا تريدُه، وَإنمَا هُوَ ترشِيد للاختيَار..

وكذلـكَ فِى زوَاج الولدِ لَا يَسـتبدُّ بِهِ الولـدُ ولَا يُواجه أباهُ بمَا يكـرهُ، وليتعقَّلْ مَا دامَ أبوهُ يصدرُ رَأيهُ عنْ وعىٍ وَفقْه وَدِين وليسَ

(١) أى فتحوا فمها بعود من الشجر.

عنْ سَـفَاهة وحمْق، فقدْ رَوَى ابـنُ حِبَّان فِى صحيحه أَنَّ رجلًا أَتى أَبَـا الدردَاء فقالَ: إِنَّ أَبِى لمْ يزلْ بِـى حَتَّى زَوَّجنِى امرأةً وَإِنهُ الآنَ يأمرنِى بفراقهَا، قالَ أبو الدَّرْدَاء:

مَـا أَنَا بالذِى آمـركَ أَنْ تعقَّ وَالديْكَ ولَا بالـذِى آمركَ أَنْ تطلقَ زوجتكَ غيرَ أنكَ إِنْ شـئتَ حدَّثتكَ بمَا سمعتُ عنْ رسولِ الله ﷺ، سـمعْتُهُ يقولُ: «الوَالد أوسـط أبوابِ الجنَّة فحافـظْ عَلى ذلكَ إِنْ شئتَ أَوْ دَعْ».

ورَوَى أصحابُ السننِ الأَرْبعة وابنُ حبّان وقال الترمذِى: حديثٌ حسَـن صحيحٌ عنِ ابنِ عُمر ﷺ قالَ: كانتْ تحتِى امرَأة أحبُّهَا وكانَ عُمـر يكرهُهَا، فقالَ لـى: طلقهَا، فأبيْتُ فأتَى عُمر رسـولَ الله ﷺ فذكرَ ذلكَ لهُ فقالَ رَسولُ الله ﷺ: طلِّقْهَا.

وذكرَ أكثرُ العلماءِ أَنَّ طاعةَ الوالديْن وَاجبة فِى الشُّـبهات ولا تجـبُ فى الحـرَام المحْضِ لأَنَّ ترْكَ الشـبهةِ وَرَع، وَرضَى الوالديْن حتْمٌ.

كمَـا ذكرُوا أنهُ لا ينـاولُ أباهُ الخمرَ ولكنْ يأخـذُ منهُ الإناءَ إِذَا شـربَ، ولا يذهـبُ بأبيهِ إلى معابدِ الشـركِ ولكـنْ إِذَا بعثَ إليهِ ليحملَهُ منهَا فَعَل..

وإذَا كانَ سيدنَا إسماعيل عليه السلام قدْ سلَّم نفسهُ لأبيهِ وَرَضِىَ بحكْم الذَّبح، فهلْ منَ العسيرِ عَلى ذوِى العقُول وَأصْحاب الدينِ أنْ يتنازلُوا عنْ بعْضِ رَغباتِهم وَشَهوَاتهم حبًّا لآبائهم وحرصًا عَلى مرْضَاتهم؟!.

٣ ـ الفداء

لقدْ فَدى الله إسـماعيلَ منَ الذَّبح بكبْشٍ عَظِيم، وتحدَّث الناسُ عـنْ هذَا الكبْش فقيلَ إنهُ كبشٌ تقرَّبَ بهِ هَابيل بنُ آدمَ فقبلهُ الله وَهو المذكورُ فِى قوله تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾[1].

وكانَ هذَا الكبشُ فِى الجنةِ يرعَى حتَّى نزلَ فداءً لإسْمَاعيلَ..

وقيلَ إنهُ كبشٌ انحطَّ منَ الجبلِ، وهناكَ روايَة عنِ ابنِ عباس قالَ:

خرجَ عليهِ كبـشٌ منَ الجنةِ قَدْ رعَى قبلَ ذلـكَ أربعينَ خريفًا، فأرسلَ إبراهيمُ عليه السلام ابنهُ وَأتبعَ الكَبش فأخرجهُ إلَى الجمرةِ الأُولى فرماهُ بسـبْع حَصَيات ثمَّ أفلتهُ عندهَا، فجاءَ إلى الجمرةِ الوسْـطَى فأخرجهُ عندهَا فرماهُ بسـبْع حَصَيَات ثمَّ أفلتهُ فأدركهُ عندَ الجمرةِ

(١) المائدة – الآية ٢٧.

الكُبـرى فرماهُ بسـبْع حَصَيَات فأخرجهُ عندهَا، ثـمَّ أخذهُ فأتَى بهِ المنْحـر منْ مِنَى فذبحَهُ فوَالذِى نَفْسُ ابنِ عباسٍ بيدهِ لقدْ كانَ أول الإسـلام وإنَّ رأسَ الكبْـش لمعلَّق بقرنيْه فِى ميـزَابِ الكعبةِ حتَّى وَحشَ يعْنِى يَبِسَ..

وهـذه تفاصيلُ لا نقفُ عندهَـا طويلًا، وَيعنينَـا المعْنى العَام الذِى ترشـدُ إليه الآياتُ، وهوَ أنَّ الله تعالىَ افتدَى إسماعيلَ بكبْش عَظيم فِى لحْمهِ أَوْ عَظيم فِى فدْوهِ حيثُ قبلهُ الله تعالىَ فداءً عنْ ولدِ إبراهيم ﷺ.

وصارَ الفداءُ سُـنة شرْعيَّة توارثهَا الناسُ وَأكَّدهَا دينُ الإسلامِ فِى الأضَاحى وَالهدْى.

وَالأضحيـةُ هىَ الذبيحةُ التِى يُتقرَّبُ بهَا إلى الله تعالىَ أَيَّامَ عيدِ الأَضْحَى المبَارك، وسـمِّيت بذلـكَ لأنهَا تُذبحُ وَقْـت الضُّحى وهوَ ارتفاعُ الشمسِ أَول النهارِ..

وَالهدْى مَا يُهدى إلىَ الحرمِ منَ الأَنعامِ مُتعلقًا بمنَاسك الحجِّ.

وهناكَ ألـوانٌ منَ الذبائحِ الشَّـرعية كالعَقيقةِ وهىَ الذبيحَة عنِ المولُود ذكرًا أَوْ أُنثى تُذبح يومُ سَـابعِ ولَادته، وتظلُّ مسْنُونة إلَى البلُوغِ..

٤ـ الشيطان

الشـيطانُ هـوَ المتمردُ منَ الإنسِ أو الجنِّ كمَـا قالَ الله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[1].

لكنَّ الشـيطانَ فِى إطْلاقه العَام هوَ إبليسُ ومعاونُوه من الجنِّ الكافرِ، وهمْ أعداءُ البشرِ منذُ آدمَ عليه السلام وَإلى قيام السَّاعة.

قـالَ اللـه تعالـى ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

وجاءتْ روَايات تُفيدُ أَنَّ الشيطانَ حاولَ فتنةَ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهمَا السـلام وَصرْفهمَا عنْ تنفيذِ الرؤيَا، ففِى مُسند الإمَام أحمد أنَّ الشـيطانَ عرضَ لإبراهيمَ عندَ السَّـعْى فسابقهُ فسبقهُ إبراهيمُ ثـمَّ ذهبَ بهِ جبريلُ إلىَ جمرةِ العقبَةِ فَعرضَ لهُ الشـيطانُ فرماهُ

---

(١) الأنعام – الآية ١١٢.

(٢) الأعراف – الآية ٢٧.

بسبْع حَصَيَات حتَّى ذهبَ، ثمَّ عرضَ لهُ عندَ الجمرةِ الوسْطى فرماهُ بسبْع حَصيات، ثمَّ تلَّه للجبينِ وعَلى إسماعيلَ قميصٌ أبيضُ فقالَ لهُ: يَا أبتِ إنهُ ليسَ لي ثوبٌ تُكفِّنني فيه غَيره فأخلعهُ حتَّى تُكفِّنني فيه فعَالجهُ[1] ليخلعَهُ فنُودِيَ منْ خلفه.. أَنْ يَا إبراهيمُ قدْ صدَّقْتَ الرؤْيَا فالتفت إبراهيمُ فإذَا بكبْشٍ أَبْيَض أقْرَنَ أَعْيَنَ[2]....

لقدْ عصمَ الله المخلصينَ الصَّادقينَ منْ أَنْ يفترسَهُم الشيطانُ أوْ يتمكَّنَ منْ عَقيدتهم وَثباتهم عَلى الحقِّ..

وقد اعترفَ بذلكَ إبليسُ اللَّعينُ فقالَ: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[3].

وَأكَّد الله تعالَى حفْظهُ لأَوْليائه وَرعايته لأصْفيائه فقالَ: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[4].

وقالَ جلَّ شأنهُ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ

---

(١) عالج الشيء: زاوله ومارسه والمراد حاول خَلْع الثوب.

(٢) أقرن له قرون، أعين واسع العينين.

(٣) الحجر - الآيات ٣٩، ٤٠.

(٤) الحجر - الآية ٤٢.

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[1].

الذبيح

يعتقدُ اليهودُ أَنَّ الذبيحَ هوَ إسحاق، وتبعهُمْ بعضُ علماءِ المسلمينَ، وهوَ قوْل بَاطلٌ لَا سندَ لهُ منْ نُصوصِ القرآنِ والسُّنةِ، ونحنُ نؤكِّدُ أَنَّ الذبيحَ هوَ إسماعيلُ عليه السلام لأَدلَّةٍ كثيرةٍ وَاضحَةٍ منهَا:

١- إنَّ البُشرى بالغلَام العَليم إسحاق كانتْ عقبَ قصَّةِ الذبيحِ إسمَاعيل ذلكَ الغلامُ الحليمُ كما ورَدَ فِى سُورةِ الصَّافَّات..

قالَ الله تعالىَ عقبَ قصّة الذبيحِ:

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[2].

لقدْ كافأَ الله تعالىَ سيدنا إبراهيم عليه السلام مكَافأتيْنِ: الأُولى إنقَاذ إسماعيلَ منَ الذَّبح، والثَّانيةُ إنجابهُ ولدًا ذكرًا من زوجهِ سَارة.

---

(١) النحل – الآيات من ٩٨ – ١٠٠.

(٢) الصافات – الآيات من ١٠٨ – ١١٢.

٢- إنَّ الذبيـحَ كانَ هوَ الغلامُ البكرُ الوحيدُ لإبراهيمَ حتَّى يعظمَ الإبتلاءُ وَتُؤتى القصةُ عِبرتهَا..

وَالثَّابتُ دِينيًّا وَتاريخيًّا أَنَّ إسماعيلَ هوَ الغلامُ البكرُ لإبراهيمَ عليه السلام من هَاجر المصريَّة فِى الوقتِ الذى كانتْ فيهِ سَارة عاقرًا عَجُوزًا.

٣- إنَّ مسْـرحَ الذبحِ وَالفداءِ كانَ بمكَّةَ المكرَّمَة، والمعروفُ أنَّ إسـحاق وُلد وعاشَ فِى فلسْـطينَ ولمْ يذهبْ إلى مكَّة، وَأنَّ الذى نشـأَ بمكةَ واسْـتقرَّ فيهَا هُوَ إسـماعيلُ وأمُّهُ هَاجر بعدَ أنْ تركهمَا إبراهيمُ لشـدَّةِ غَيْرةِ سَـارة وَلحكمةٍ يعلمهَا الله بوَادٍ غيرِ ذِى زرْع عندَ مكانِ البيْتِ الحرام بمكَّة المكرَّمَة..

٤- إنَّ الله تعالىَ بشَّـر إبراهيمَ بإسحاقَ ووعدَهُ أنْ يعيشَ حتَّى يُنجب غلامًا هوَ يَعقُوب، وجاءتِ الملائكةُ إلى بيْت إبراهيمَ وزوجه سَارة فِى صُورةِ ضيوفٍ مُكَرَّمين، وتعجَّل إبراهيمُ تقديمَ الطعام لهُم وهـوَ لَا يَعْرفهمْ، ورحَّب بهمْ أجملَ ترحيـب، وامتنعَ الملائكةُ عنِ الطعام لأَنهم لا يَأكلونَ ولا يشْربونَ ولَا يتناسلُونَ ولكنهُم يتشكلُونَ بالصُّورةِ البشريَّةِ الحسَنةَ.

وهنَـا أفصـحَ الملائكةُ عـنْ حَقيقة أَمْرِهـم، وعَاجلوهُ بِبُشْـرى لمْ تتوقعْهَا سَارة وهوَ حمْلها وإنجابهَا عَلى كبرِ سنهَا وعقْمِ رحمهَا..

ولمَـا انقبضَ وجْهَها منَ البُشـرى وتعجبتْ كيـفَ تحصلُ هذه البُشرى ذكرتهَا الملائكةُ بقدْرَة الله الذى لَا يعجزهُ شىءٌ فِى الأرضِ وَلَا فِى السَّماء..

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (١) ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾(٢).

فهـذَا الوعْد الإلهىُّ حـقٌّ فكيفَ يُؤمرُ إبراهيـمُ بعدَ ذلكَ بذبحِ إسحاق وهوَ طفلٌ لمْ يُولد لَهُ يَعقوب الموعُود به؟!

فتعيَّنَ أنْ يكونَ إسـمَاعيلُ هـوَ الذَّبيحُ حتَّى لَا يقعُ خُلف لوعْدِ الله عزَّ وجلَّ..

---

(١) الحنيذ: المشوى.

(٢) هود - الآيات من ٦٩ - ٧٣.

٥- إنَّ إسماعيلَ هوَ جدُّ العربِ المسْتعربَة[1] وإسحاق هوَ جدُّ بنِى إسْرَائيلَ..

وقدْ وردَ فِي حديث رواه الحاكم أَنَّ أعرابيًّا قالَ لرسولِ الله ﷺ يَا ابنَ الذبيحيْن فضحكَ..

ويعْنى بالذبيحيْنِ إسمَاعيل وَعبد الله بن عبدِ المطلب..

فسيدنَا محمدٌ ﷺ دعوةُ أبيهِ إبراهيم عندمَا قالَ حينَ رفعَ القواعدَ منَ البيْت الحَرَام:

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[2].

وقصةُ عبدُ الله بن عبد المطَّلب تتمثلُ فِى أنَّ عبدَ المطلب أُمرَ فِى المنام بحفْر زمْزَم ووُصفَ لهُ موضعهَا، وكانتْ قبيلَةُ جُرْهُم قدْ غلبتْ آلَ إسمَاعيل عَلى مكَّةَ وملكُوهَا زمانًا طويلًا ثمَّ أفسدُوا فِى حَرَمِ الله.

---

(١) قسم المؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام: عرب بائدة وهم عاد وثمود، وعرب عاربة أى خالصة وهم قبيلة جرهم وعرب مستعربة أى خليط من العرب العاربة ومن بنى عنصر غير عربى وهم ذرية إسماعيل الذى تزوج من قبيلة جرهم.

(٢) البقرة – الآية ١٢٩.

فوقعَ بينهُـم وبينَ خُزَاعَة حَرْب، وَخُزاعة مـنْ قبائل اليمنِ منْ أهلِ سَـبَأ، ولمْ يدخُلْ بينهمْ بنُو إسـمَاعيل فَغَلبتهم خُزَاعة ونفتْ جرهمًا منْ مكَّةَ المكرّمةَ.

وكانتْ جُرهم قَدْ دفنتْ الحجرَ الأَسْود وَالمقامَ وَبئر زمْزم، وظهرَ بعدَ ذلكَ قِصيُّ بنُ كِلَاب عَلى مكة، ورجعَ إليهِ ميراثُ قُريش فأنزلَ بعضَهـم داخل مكَّة وهمْ قُريـش الأَبَاطح[1] وبعضُهم خارجهَا وهُمْ قُريش الظواهِر، فبقيتْ زمـزمُ مدْفُونةً إلىَ عصرِ عبدِ المطَّلب جَد الرسولِ ﷺ..

فـرأَى عبـدُ المطَّلب فِى المنـام موضعهَا فقـامَ بحفْرهَا فوجدَ فيها سُـيُوفًا مدفونَـةً وَحُليًّا وغزالًا منْ ذهبٍ مشـنفا بالدُّر فعلَّقهُ عبدُ المطلبِ عَلى الكعْبة المشَرَّفة..

وليسَ معَ عبـد المطلب إلَّا ولدهُ الحارث فنازعتهُ قريشٌ وقَالُوا لهُ: أَشْـركْنَا فقالَ: مَا أنَا بفَاعـل، هذَا أمرٌ خُصِّصتُ بهِ فاجْعَلُوا بينِى وبينكُم مَنْ شِئْتم أُحَاكِمَكم إليْهِ..

فنـذَرَ حينئذٍ عبدُ المطلب لئنْ آتاهُ الله عشـرةَ أولَادٍ وبلغُوا أنْ يمنعوُه لينحرنَّ أحَدَهم عندَ الكعْبةِ..

---

(١) الأبطح المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار.

فلمَّا تموُّا عَشــرة وعرفَ أنَّهم يمنعونهُ أخْبرهم بنذرهِ فأطاعُوه وكتبَ كلُّ واحدٍ منهمْ اسْمه فِى قدَح وَأعْطُوا القدَاحَ قيّم هبل وكانَ هُو الذِى يجيلُ القِدَاح.

فخرجَ القــدحُ عَلى عبدِ الله وأخذَ عبدُ المطلب المدْيَةَ ليذبحَهُ فقامتْ إليهِ قُريشٌ منْ ناديهَا فمنعُوهُ، فقالَ: كيفَ أصْنع بنذْرِى؟!

فأشارُوا عليهِ أنْ ينحرَ مكانهُ عشرًا منَ الإبلِ، فأقرعَ بينَ عبدِ الله وبينهَــا فوقعتِ القرعةُ عليْه، فَاغْتــمَّ عبدُ المطلب ثمَّ لمْ يزلْ يزيدُ عشرًا عشرًا ولا تقعُ القرعةُ إلاَّ على عبدِ الله إلى أنْ بلغَ مِائة فوقعتِ القرعةَ عَلى الإبلِ فنُحِرَت عنهُ فجرَتْ سُنَّة..

وهكَــذا كانَ ســيدُنَا محمدٍ ﷺ ابــنَ الذبيحيْنِ إســمَاعيل الجدُّ الأعْلىَ، وعبدُ الله الوَالد المبَاشِر..